معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (القواعد الأربعة)

شرح الشيخ (هادي حماد) حفظه الله

الدرس رقم (5)

المستوى الثاني

التاريخ: الثلاثاء: 12/ذو القعدة/1440

الدرس الخامس من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيهِ مُحمَّد وآلهِ وصحبهِ أجمعين أمَّا بعد:

قالَ- رحمهُ الله- : (**القاعدةُ الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظُ شركًا من الأوَّلين؛ لأنَّ الاوَّلين يُشركونَ في الرَّخاء ويُخلِصونَ في الشِّدَّة؛ ومشركو زماننا شركهم دائم في الرَّخاء والشِّدَّة والدليلُ قولهُ تعالى:{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }**)

بَيَّنَ - رحمهُ الله- في هذه القاعدة الأخيرة في هذه الرسالة المُفيدة أنَّ الأولينَ من المشركين يعني المشركينَ الذينَ كانوا في السَّابقِ كانوا يدعونَ من غيرِ الله ما يدعون؛ منَ الأحجارِ والأشجار والملائكة والأولياء يدعونهم في وقت الرَّخاء والسَّعة ويتوَّجهون اليهم بأصنافِ العبادة؛ فإذا صاروا في شِدَّةٍ، أو أشرفوا على الهلاك، أو صادفوا موقفاً احتاجوا فيه أن يطلبوا الغوثَ والملجأَ أعرضوا عن تلك المعبودات؛ لم يُقبلوا إليها؛ ولم يطلبوا منها ؛ إنَّما توَّجهوا مُخلصين بدعائهم إلى الله؛ فلم يدعوا صنماً ولا حجراً ولا ولياً ولا أحداً إلا الله؛ هذا في حال الشِّدَّة وحال الإشراف على الهلاك دَعَوْا الله مُخلصينَ لهُ الدِّين؛ جعلوا دعاءهم للَّهِ خالصًا وهذا من آثار ما تقدَّمَ من القواعد ما ذكرهُ المؤلف - رحمهُ الله - أنهم يؤمنون بربوبية اللهِ وتفرّدهِ في الربوبية وأفعال الخلق والرزق والتدبير والمُلك هذا أثرٌ من آثار اقرارهم بتوحيد الرُّبوبية بأنهم إذا اشرفوا على الهلاكِ أو صادفوا موقفًا احتاجوا فيه لطلبِ الغوث استغاثوا بالله ودَعَوُا الله مُخلصينَ لهُ الدِّين يطلبون النَّجاة فلمَّا نجّاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون يعني عادوا إلى ما هم عليه،

وهذا بخلافِ قوم جاءوا من المُتأخرينَ أشركوا بالله عزَّ وجلّ في الشِّدَّةِ والرَّخاء؛ في الرَّخاءِ والشِّدَّة، تجدُ كثيرا منهم يزدادُ شركهُ في حالِ الشِّدَّة؛ ويظهرُ أكثرَ ممَّا كانَ في حالِ الرَّخاء؛ فإذا وقعَ في شِدَّةٍ وقعَ في مشكلةٍ وقعَ في مُصيبةٍ طلبَ الغوثَ من غير الله؛ طلبَ المُساعدةَ من غير الله؛ توَّجَهَ إلى غيرِ الله عزَّ وجل؛ فطلب المددَ والمُساعدة ممَّا هو فيه من غير الله؛ كما يحصلُ

لكثير منهم اليوم ينادونَ الحسنَ والحُسين وغيرهم كالبدوي والجيلاني وغيرهم؛ وهذا من أكبر الضَّلال أن يُعرضوا عن الله عزَّ وجل؛ وهذا فرقٌ بين المُشركينَ من الأوَّلين والمشركينَ في هذا الزَّمان؛ ولا يعني هذا أن مُشركي الزَّمن الأوَّل أحسن من مُشركي هذا الزَّمن في كل شيء؛ بل تجدُ من مشركي الزَّمن الأول من هم أَشدُّ وأَسوأ وأكثرُ حِقداً على المسلمينَ وسَعَوْا في قتلِ رسولِ الله ﷺ؛ وسبِّهِ وشتمهِ ونحوِ ذلك؛ لكن لا يعني هذا أن مُشركي هذا الزَّمان مِمَّن يُقرُّونَ بنبوة محمد ﷺ ويدَّعونَ له المحبَّةَ أنَّهم موحدون وأنَّهم من أهلِ الإيمان، وأنهم من أهلِ النَّجاة؛ لكن هذه مُقارنة لهم في هذا الشِّرك؛ ليست مُقارنة لهم في سائر الأعمال؛ لكن مقارنة لهم في هذا الشرك؛ هذا مُشرك وهذا مُشرك ولكن هذا المُشرك يشركُ بالله عزَّ وجل في رخاءهِ ثُمّ في الشِّدة يُخلِص؛ هذا لا يُنَجّيهِ منَ الشِّرك؛ وانه لم يتب منه؛ وذلك مشركٌ في الرَّخاء والشِّدة كلاهما فيه شرٌّ كبير وكفرٌ كبير وضررٌ خطير؛ لكن المقصود من هذه المُقارنة من هذا الباب من باب مُعيَّن؛ مُقارنة مُعيَّنة في هذا الأمر.

وقد استدَّل الشيخ رحمه الله بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾

وفي هذا إلزامٌ للمشركينَ بإقرارهم بوحدانية الله عزَّ وجل في ربوبيته؛ ودعائهم له في حال الشِّدَّة عند ركوب البحرِ وحصول الخطر من هلاك من امواج والإشراف على الهلاك أن يدعوه وحده في سائرِ أحوالهم كَما دَعوه وحده في تلك الحال؛ فليدعوه وحدهُ في سائر أحوالهم ويتوبوا من شِركهم وغيِّهم وضلالهم؛

فالعبد المخلوق هو عبدٌ لله عزَّ وجل في كل أحوالهِ في الفقر والغِنى، وفي الشِّدَّةِ والرَّخاء؛ فيجبُ أن يَعبُدَ الله عزَّ وحل في كلِّ أحواله؛ ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ يعني حتى الموت؛ كُنْ موحِّدًا لله عزَّ وجل؛ لا تعبد غير الله عزَّ وجل؛ هذا هو الذنبُ الأكبر عبادة غير الله عزَّ وجل؛ الشركُ بالله عزَّ وجل هو الذنبُ الذي لا يغفرهُ الله سبحانه وتعالى؛ فيجبُ أن نتعلَّمَ خطورةَ هذا الأمر؛ وأن ندركَ أهميتهُ وأن لا نكونَ ممَّن زاغوا في هذه الايام وزعموا أنَّ الشركَ لا يقع من المسلمين وأنه لا خوف عليهم من ذلك الباب؛ نعم لا خوف على الأمَّة بمجملها بكاملها أن ترتدَّ جميعًا؛ لكن أفرادٌ منهم يقعون؛ أفرادٌ منهم يقعون في عبادة غير الله عزَّ وجل والتوَّجهُ لغيرِ الله

عزَّ وجل؛ والتعلق بهم تعلقًا شِركياً نبت؛
بل من المُرَّغب فيه والمطلوب بل واللازم أن نتعلَّقَ بالصالحين أو ونتعَّلقَ بأعظم الخلق - الأنبياء- أن نتعلَّقَ بالصَّحابة تعلُّقًا شرعياً بمعنى أن نقرأَ سِيَرهم ونأخذَ من رسول الله ﷺ الآدابَ والأخلاق؛ ونستجيبَ للأوامر، وننتهي عن النواهي والزواجر؛ وأن نقرأَ نصائحهم وتوجيهاتهم وترغيبهم وترهيبهم؛ أن نقرأ سير الصالحين ونفهم ما كانوا عليه من عملٍ صالح وأن نرافق ونجلس مع العلماء وأن نستفيد منهم؛ لا نعبدَ رجلًا ونتعلق به تعلُّقًا شِركيًا نطلبَ منه المَدد، ونطلبَ من الغوث، ونطوفَ بقبره، ونذبحَ له؛ فمحبَّة الصالحين لا بُدَّ ان تكون محبَّة شرعيَّة لله عزَّ وجل؛ أمّا إذا كانت محبَّةً شركيَّةً فهذا هو الهلاك الأكبر والذنبُ الأخطر.

نسألُ الله عزَّوجل أنْ يُجنِّبنا الشِّركَ ما ظهرَ منه وما بطن؛
وأن نكونَ ممَّن استفادَ من قراءةِ هذه الرِّسالة
وصلى الله وسلم على نبيه مُحمَّد.